

للأستاذ: معاذ الجحجاح

حياة الإمام الزهري وعلمه

المبحث الأول : نسب ونشأة الإمام الزهري

هو الامام أبو بكر محمد بن مسلم بن عبد الله بن عبد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب القرشي الزهري أحد أشهر تابعي المدينة.

أبوه هو مسلم بن عبيد الله حليف عبد الله بن الزبير ضد الأمويين، وهذا ما يفسر لنا قول الخليفة عبد الملك بن مروان للزهري حين قال له :

«أما والله إن كان لك لأب نعار في الفتنة ..»[1].

ولد الامام ابن شهاب الزهري في بداية النصف الأخير من القرن الهجري الأول. إلا أن أصحاب كتب التراجم والطبقات اختلفوا في تحديد السنة التي ولد فيها حيث جعلوها بين سنة (50 هـ و 58 هـ). فالحافظ الذهبي يرى أنه ولد سنة خمسين[2].

أما الحافظ ابن عساكر فيذكر أقوالا مختلفة في ذلك ولم يرجح واحدا منها[3]. ويحدثنا الزهري عن نشأته ويقول :

«نشأت وأنا غلام لا مالي، مقطع من الديوان ..»[4]. ويفهم من هذا

(1) «المعرفة والتاريخ» ليعقوب بن سفيان الفسوى ج 1 ص: 424.

(2) تذكرة الحفاظ : ج 1 ص: 108.

(3) مستلة من كتابه : «تاريخ مدينة دمشق» وهو عبارة عن ترجمة للزهري. ص: 36-37-42-50.

(4) ص : 65 ابن عساكر.

النص أن الزهري عاش فقيرا لاحول له ولا قوة، هو وأخوه ابو محمد عبد الله بن مسلم وأخواته البنات.

إلا أنه رغم حياة العسر هذه التي كان يحياها الزهري قد اشتهر منذ شبيبته بملازمة الشيوخ، وحضور حلقات الدرس، حتى اشتهر من بين أقرانه بحرصه الشديد على تلقي العلم، وجمع الحديث.

وفي هذا يروي ابن سعد في طبقاته عن ابراهيم بن سعد عن أبيه أنه قال: «ان ما سبقنا ابن شهاب بشيء من العلم، إلا أنا كنا نأتي المجلس فَيَسْتَنِلُ ويشد ثوبه عند صدره، ويسأل عما يريد، وكنا تمنعنا الحداثة»[5].

المبحث الثاني : صلة الإمام الزهري بالخلافة الأموية

إن أغلب الدراسات الحديثة التي اعتنت بحياة الزهري أو باتجاهاته العلمية تعرضت بشكل أو بآخر لاتصال الزهري بالدولة الأموية، ولطبيعة هذا الاتصال. فالدراسات الاستشراقية اهتمت بهذه العلاقة التي جمعت بين الامام ابن شهاب والخلافة الأموية، لما رأته من ارتباط بين طبيعة العلاقة وبين مسألة موثوقية المرويات التي كان يرويها الامام الزهري وغيره من رواة الحديث. خصوصا ونحن نعلم مدى الاهتمام الذي ناله هذا الموضوع من طرف المستشرقين حيث إن جمهرة منهم وجدت فيه مجالا خصبا للتشكيك في المصدر الثاني من مصادر التشريع الاسلامي، وبالتالي بذر الشكوك حول مصداقية الاسانيد وجدواها كوسيلة لتمييز صحاح الأحاديث عن ضعيفها ومكذوبها.

وعلى رأس هذه الدراسات والأبحاث كتابات المستشرق المجري اليهودي الأصل جولدزيهر من خلال كتابيه: «العقيدة والشريعة في الاسلام» و«دراسات اسلامية». والنتيجة التي توصل إليها جولدزيهر هي أن علاقة الامام الزهري بالخلافة الأموية لم تكن بريئة كما تصورها كتب التراجم والطبقات حيث أكد أن الخلافة الأموية استغلت شهرة الامام ابن شهاب في مجال رواية الحديث لتحقيق أغراضها السياسية، معتمدة عليه في وضع الأحاديث، للتخلص من بعض المآزق السياسية التي مروا بها[6].

(5) ابن سعد ج 2 ص ض 389.
(6) ص : 189 وما بعدها من كتاب: «السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي» للدكتور مصطفى السباعي.

ومن بين أهم الدراسات العربية التي تناولت هذا الموضوع بالبحث والتمحيص كتاب «السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي» للدكتور مصطفى السباعي الذي خصص جزءا مهما من كتابه للرد عن هذه الشبهة التي أثارها جولدزيهر وغيره حول الامام ابن شهاب الزهري[7].

وتعرض الدكتور حسين عطوان أيضا لهذه المسألة بشيء من التفصيل في كتابه: «روايات الشاميين للمغازي والسير».[8] في معرض كلامه عن خصائص رواية الزهري لتاريخ صدر الاسلام وليس هذا كل ما كتب حول هذا الموضوع، بل هناك دراسات أخرى لاتخلو من أهمية، سأتعرض لبعض ما جاء فيها في ثنايا هذا المبحث.

وسأحاول في هذا المبحث تتبع هاته المسألة معتمدا على ما جاء في كتب التراجم والطبقات، مع الاستئناس ببعض الدراسات الحديثة، متبنيا بعض النتائج التي وصلت إليها، ومناقشا نتائج أخرى.

1 ــ بدء اتصاله بالخلفاء الأمويين :

تكاد الروايات التاريخية تجمع على أن أول خليفة اتصل به الامام ابن شهاب الزهري هو الخليفة عبد الملك بن مروان (65 هـ ــ 86 هـ) الذي افتتح به العهد المرواني في الدولة الاموية. وكان ذلك سنة اثنتين وثمانين للهجرة بدمشق حاضرة الأمويين آنذاك[9].

ويستفاد من النصوص التي تعرضت لهذه المسألة، أن سبب خروج الزهري إلى الشام هو ضيق حاله، وكثرة ديونه. حيث قصد الشام بحثا عن مصدر رزق يسدد به ديونه، وييسر به عسر أهله. فشاءت الصدف أن يدخله قبيصة بن ذؤيب على الخليفة عبد الملك بن مروان وبذلك يكون هذا اللقاء أول اتصال له بالخلافة الأموية.

وقبل استعراض تفاصيل هذا اللقاء، أود الاشارة إلى أن النصوص التي

(7) من ص: 189 إلى ص : 226 نفس المرجع.

(8) من ص : 142 إلى ص : 149.

(9) تاريخ مدينة دمشق «لابن عساكر» ص : 12.

أوردت هذا الخبر لم تتفق كلها حول تفاصيل هذا اللقاء، و لم تتفق أيضا حول طبيعة الحديث الذي دار بين الامام الزهري وبين عبد الملك بن مروان. إلا أنها تلتقي في كون الكلام الذي دار بينهما كان كلاما حول أمور العلم عامة.

وللاطلاع على تفاصيل هذا اللقاء سأورد نصا جاء في ترجمة الزهري المستلة من كتاب «تاريخ مدينة دمشق» لابن عساكر وجاء لي في هذا النص: «.. يحيى بن محمد بن حكم، قال سمعت ابن أبي ذئب يقول: كان ابن شهاب قد ضاقت حاله ورهقه دين، فخرج إلى الشام في زمان عبد الملك بن مروان، فجالس قبيصة بن ذؤيب: قال ابن شهاب: فبينا نحن مع قبيصة ذات يوم نسمر معه، إذ جاءه رسول عبد الملك، فقال: أجب أمير المؤمنين. قال: فذهب إليه، ثم رجع إلينا فقال: من منكم يحفظ قضاء عمر في أمهات الأولاد؟ قال: قلت: أنا فقال لي : قم. فقمت معه، فأدخلني على عبد الملك بن مروان .. قال فسملت عليه، فلما فرغت من سلامي قال: من أنت؟ فانتسبت إليه، قال: إن كان أبوك لنعارا في الفتن[10]. قلت: يا أمير المؤمنين عفا الله عما سلف ..» ويمضي النص الذي أورده ابن عساكر في ذكر تفاصيل الكلام الذي دار بين ابن شهاب وبين عبد الملك بن مروان، وكان محوره بعض المسائل الفقهية والحديثية التي كان يسأل عنها عبد الملك إلى أن قال الزهري: «.. يا أمير المومنين اقض ديني. قال: قضى الله دينك ..»[11].

بعد هذا اللقاء توثقت الروابط بين عبد الملك بن مروان والامام الزهري. فصار بعد ذلك من بين العلماء الذين يستأنس برأيهم من حين لآخر في بعض المسائل الفقهية.

وبقي الزهري على اتصال بالخلفاء الأمويين أبناء عبد الملك بن مروان الوليد وسليمان ويزيد وهشام حيث استقضاه يزيد بن عبد الملك، كما اشتغل مؤدبا لأولاد هشام بن عبد الملك[12].

---

(10) وكان أب الزهري من مؤيدي عبد الله بن الزبير.

(11) ابن عساكر من ص : 12 إلى ص : 16.

(12) ص 142 «رواية الشاميين للمغازي والسير».

أما الخليفة عمر بن عبد العزيز بن أخ عبد الملك بن مروان فقد كان الزهري حظيا عنده، ومحط تقديره واجلاله لعلمه الغزير بالحديث النبوي ورواياته ... وفي ذلك يقول عمر بن عبد العزيز: «مارأيت أحدا أحسن سوقا للحديث إذا حدث من الزهري»[13] وهو القائل أيضا: «عليكم بابن شهاب هذا، فإنكم لاتلقون أحدا أعلم بالسنة الماضية منه»[14].

2 ــ المآخذ التي أخذت على الزهري في شأن اتصاله ببني أمية :

تعرضت دراسات كثيرة للمآخذ والشبه التي أحيطت بعلاقة الامام ابن شهاب الزهري مع الدولة الأموية، ومعظمها توصلت في الأخير إلى تبرئة ساحة الزهري من هذه الاتهامات المبنية على افتراضات وهمية، وأخطاء تاريخية أحيانا، وعلى أكاذيب باطلة أحيانا أخرى.

ويمكن تصنيف هذه المآخذ إلى مآخذ حول تعامله مع البلاط الأموي، ومآخذ حول تساهله في الحديث وروايته إرضاء للأمويين.

ففيما يخص المآخذ المتعلقة بتعامله مع البلاط الأموي، اتهمه جولدزيهر بأنه كان ممن يرى العمل مع الحكومة، وأنه لم يكن يتجنب الذهاب إلى القصر، بل كان يتحرك كثيرا في حاشية السلطان ..[15]

وبعد الرجوع إلى النصوص التاريخية التي أشارت إلى تعامل الامام الزهري مع الأمويين نجد الأمر على خلاف ما يصفه جولدزيهر، فالصلة التي جمعت بينه وبين الأمويين كانت صلة عالم واثق من نفسه، لا يحابي أميرا أو خليفة على حساب الأمانة العلمية.

والنص الذي أورده ابن عساكر كفيل بالحسم في هذه المسألة، وجاء فيه: «فقال (أي هشام بن عبد الملك): يا ابن شهاب من الذي تولى كبره منهم؟: فقال له: عبد الله بن أبي. فقال له: كذبت هو علي بن أبي طالب. فقال له: أنا أكذب !! لا أبا لك. فوالله لونادى مناد من السماء أن الله أحل الكذب، ما كذبت ..» إلى أن قال هشام بن عبد الملك: «فوالله ماكان ينبغي لنا أن نحمل

---

(13) - (14) ابن عساكر ص : 94 و 110.

(15) «السنة ومكانتها ..» ص : 222.

عن مثلك».[16] وقال الأوزاعي: «ما أدهن ابن شهاب قط لملك».[17] فرجل يقول للخليفة في مجلسه: «لا أبا لك» لاينتظر منه أن يكون لعبة مسخرة في يد الأمويين.

ومن هنا يتضح لنا أن الزهري لم يكن راضيا كل الرضا على سياسات الأمويين بل كان يخالفهم في كثير مما يذهبون إليه[18].

ولو كان حال الزهري كما وصفه جولدزيهر لما سلم من نقد رجال الجرح والتعديل — كما سبق أن رأينا — بل على العكس من ذلك نجدهم يوثقونه، حتى أنهم جعلوه من رجال سلسلة ذهبية، جاء في ألفيه العراقي :

وجزم ابن حنبل بالزهري عن سالم أي عن أبيه البر[19]

أما المآخذ المتعلقة بتساهل الزهري في مجال رواية الحديث، ارضاء لرغبات الأمويين، فقد تعرض لها الدكتور مصطفى السباعي بتفصيل في كتابه : «السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي»[20] في شكل ردود على الشبه والاتهامات التي أوردها المستشرق جولدزيهر، ومن حذا حذوه.

ومن أخطر هذه الاتهامات اتهامه إياه بوضع حديث: «لاتشد الرحال إلا إلى ثلاث ..» وذلك ارضاء لعبد الملك بن مروان أثناء النزاع بين هذا الأخير وبين عبد الله بن الزبير الذي كان يكره الناس على مبايعته إذا حضروا موسم الحج بمكة[21] هذا ملخص الاتهام الذي قال عنه الدكتور مصطفى السباعي إنه من افتراء جولدزيهر وتحريفه لحقائق التاريخ[22].

والواقع أن هذه الرواية ليست من افتراء جولدزيهر — كما يقول السباعي — بل أوردها اليعقوبي في تاريخه وإن كانت من الوجهة التاريخية مرفوضة لأنها — كما سنرى — احتوت على عدة أخطاء تاريخية. فيبقى أن جولدزيهر تبنى ماورد في هذه الرواية، وجعلها مُستنده في اتهام الامام ابن شهاب

(16) ابن عساكر ص : 162 - 163.

(17) ابن عساكر ص : 161.

(18) رواية الشاميين للمغازي ص : 148.

(19) التبصرة والتذكرة ج 1 ص : 22.

(20) من ص: 217 إلى ص : 222.

(21) السنة ومكانتها .. ص : 217.

(22) نفس المرجع نفس الصفحة.

الزهري. ويجدر بنا ونحن نتعرض لهذا الاتهام أن ننقل النص كما جاء في تاريخ اليعقوبي يقول النص: «.. منع عبد الملك أهل الشام من الحج، وذلك أن ابن الزبير كان يأخذهم إذا حجوا بالبيعة، فلما رأى عبدالملك ذلك منعهم من الخروج إلى مكة، فضج الناس وقالوا تمنعنا من حج بيت الله الحرام، وهو فرض من الله علينا ! فقال لهم: هذا ابن شهاب يحدثكم أن رسول الله قال: لاتشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام ومسجدي ومسجد بيت المقدس، وهو يقوم لكم مقام المسجد الحرام، وهذه الصخرة التي يروى أن رسول الله وضع قدمه عليها لما صعد إلى السماء، تقوم لكم مقام الكعبة، فبنى على الصخرة قبة، وعلق عليها ستور الديباج، وأقام لها سدنة وأخذ الناس بأن يطوفوا حولها كما يطوفون حول الكعبة، وأقام بذلك أيام بني أمية»[23] وقبل مناقشة هذه الرواية يجب أن نقر أولا أن حديث: «لاتشد الرحال» حديث رواه الزهري وغيره، وهو حديث صحيح أخرجه أصحاب الكتب الستة من طرق مختلفة[24] ونذكر إحدى طرقه عند البخاري، وهي كما يلي :

«حدثنا علي (ابن المديني) حدثنا سفيان عن الزهري عن سعيد (ابن المسيب) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: لاتشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام ومسجد الرسول ﷺ ومسجد الأقصى». ومما يستغرب له بهذا الصدد قول الدكتور عبد العزيز الدوري حول هذا الحديث: «والحديث بذاته مشكوك فيه ..»[25] فلا ندري أي شك يقصده الدكتور بعد أن خرج الحديث أصحاب الكتب الستة؟. إلا أنه رغم صحة هذا الحديث فإننا لاننفي بطلان الرواية التي ساقها اليعقوبي وضمنها هذا الحديث، وتهافت النتائج التي توصل إليها جولدزيهر، ويستنتج هذا البطلان والتهافت من الوجوه التالية :

1. إن الزهري لم يكن قد اتصل بعد بعبد الملك أيام نزاعه مع عبد الله بن الزبير، فقد علمنا ممَّا سبق أن أول اتصال له بعبد الملك كان في حدود سنة 82 هـ، والنزاع كان قبل ذلك بحوالي عشر سنوات أي في حدود 73,72 هـ[26] فيكف يحيل عبد الملك الناس على حديث الزهري، وهو

(23) تاريخ اليعقوبي ج 2 ص : 261.
(24) فتح الباري ج 3 ص : 63 انظر أيضا شرح النووي على مسلم: ج 9 ص 167 ، سنن أبي داود ج 2 ص : 529.
(25) «بحث في نشاة علم التاريخ عند العرب» ص : 99.
(26) نفس المرجع ص : 99.

لا يعرف الزهري، ولا يعرف مكانته العلمية في هذه الفترة المتقدمة ؟

2. إذا كان هذا النزاع قد حصل حوالي سنة 72 هـ، ونحن نعلم أن مولد ابن شهاب كان في حدود سنة 50 هـ، فعمره سيكون آنذاك حوالي اثنين وعشرين سنة، وعلى افتراض أن هذه الرواية صحيحة، فيكف يكون الزهري وهو في هذه السن المبكرة موضع ثقة جمهور الناس ؟

3. من جملة الشيوخ الذين روى عنهم الزهري هذا الحديث التابعي الجليل سعيد بن المسيب، فإذا كان الزهري قد وضع هذا الحديث ــ كما يقول جولدزيهر ــ فكيف سكت سعيد عن ذلك؟ وسكتت كتب الجرح والتعديل؟[27].

وسيرا في هذا الصوب اتهم جولدزيهر أيضا الامام الزهري بوضع الحديث ارضاء لرغبات الأمويين بدليل قوله: «إن هؤلاء الأمراء أكرهونا على كتابة أحاديث» وهذا النص قد قاله الزهري فعلا، ولكن المستشرق جولدزيهر أضاف عليه إضافة غيرت معناه تماما. فالنص جاءت فيه كلمة «أحاديث» معرفة أي «الأحاديث» وبذلك يكون المعنى أن الأمراء أرغموه على تدوين رواياته الشفوية وكتابتها.[28]

ومما يؤكد هذا المعنى النص الذي أورده ابن سعد في طبقاته جاء فيه: «أخبرت عن عبد الرزاق، أخبرنا معمرٌ عن الزهري قال: كنا نكره كتاب العلم حتى أكرهنا عليه هؤلاء الأمراء، فرأينا أن لانمنعه أحدا من المسلمين»[29] وبذلك يكون جولدزيهر تعمد تحريف النص لاثبات مايريد الوصول إليه، وإن كان ذلك على حساب الأمانة العلمية.

كانت هذه أهم المآخذ التي أخذت على الامام ابن شهاب الزهري في شأن اتصاله بالخلافة الأموية.

---

(27) السنة ومكانتها : ص 219.

(28) السنة ومكانتها : ص: 223/ (وأيضا «تاريخ التراث» لسزكين ج 1 ص : 450.

(29) طبقات ابن سعد ج 2 ص : 389 / تقييد العلم للخطيب البغدادي ص: 107.

المبحث الثالث : اتجاهاته العلمية

إن المتتبع لأخبار الزهري في كتب التراجم والطبقات وغيرها، سيلاحظ حتما أن الرجل كان محيطا بأكثر من علم أو لنقل كان «موسوعيا» في مجال العلوم التي كانت سائدة في عصره.[30]

ورغم اشتهاره في الآفاق بمرويات الحديث والسيرة النبوية، فإن اسهاماته في مجالات عديدة أخرى لم تكن لتخفى، ومنها : التفسير والقراءات، والفقه، والانساب والإعراب إلى غير ذلك من العلوم التي جعلته يسمو إلى المكانة التي وصلها، حتى صار عمدة لكثيرين جاؤوا من بعده ..

وسأحاول هنا التعرض لهذه الإسهامات مؤجلا الكلام عن روايته للسيرة النبوية إلى مكان آخر من هذا البحث.

ففي مجال القراءات سجلت له روايات في هذا العلم، وعدّ من رجاله، حتى أن ابن الجزري صاحب كتاب «غاية النهاية في طبقات القراء» ذكره من بين أرباب هذا العلم، حيث قال في ترجمته له: «محمد بن مسلم .. الزهري المدني أحد الأئمة الكبار وعالم الحجاز والأمصار، تابعي، وردت عنه الرواية في حروف القرآن .. وروى عنه الحروف عثمان بن عبد الرحمن الوقاصي وعرض عليه نافع بن أبي نعيم فيما حكاه أحمد بن جبير عن اسحاق المسيبي عنه، ورى الداني عنه أنه قال: كان النبي ﷺ وأبو بكر وعثمان ومعاوية رضي الله عنهم يقرؤون مالك يوم الدين، وأول من أحدث «ملك» مروان بن الحكم، قلت قراءة الزهري في الاقناع للأهوازي وغيره[31]. فمن خلال هذا النص يمكننا أن نستنتج أن الزهري روى الحروف عن شيوخ عصره، ورواها عنه تلاميذه من بعده.

كما نستنتج أيضا أنه كانت له مواقف صريحة في هذا العلم، وذلك حين قال أن النبي ﷺ والصحابة كانوا يقرؤون «مالك» بالمد، وأن أول

(30) «رواية الشاميين.. » من ص: 75 إلى ص : 83.

(31) «غاية النهاية» ج : 2 ص : 262 - 263 رقم الترجمة: «3470».

من أحدث «ملك» هو مروان بن الحكم ..

ويبدو أن اهتمامه بالقراءات ألزمه العناية بأعراب القرآن، فقد قال حين لقائه مع عبد الملك بن مروان أنه على علم بإعراب القرآن، وذلك حين، سأله عبد الملك قائلا: «أقرأت القرآن ؟ قال: نعم. قال: بإعرابه وما ينبغي فيه من وجوهه وعلله؟. قلت : نعم»[32].

ونقل ابن عساكر أيضا قولا عن شعيب بن أبي حمزة قال: «كان الزهري وأبو الزناد يقرآن القرآن، ويحسنانه بالعربية ..»[33] .

أما في مجال التفسير، فإن اسم الزهري حاضر بشكل مكثف في كتب التفسير بالمأثور التي أوردت الروايات مسندة إلى الرسول ﷺ أو إلى الصحابة التابعين.

وعلى رأس هذه التفاسير تفسير ابن جرير الطبري، والمتتبع لهذه الروايات سيجد اسم الزهري يتردد كثيرا عنده. وقد قام الدكتور حسين عطوان بعملية جرد للروايات الوارد فيها اسم الزهري بوصفه حلقة من حلقات هذه الأسانيد حيث قال: «وقد نقل الطبري روايات كثيرة من تفسيره لآيات من جميع سور القرآن، وأوردها بأسنادها، وهي تدل على أنه حمل التفسير عن عدة شيوخ وحمل أكثر ما روى منه عن عروة بن الزبير وسعيد بن المسيب وعبد الله بن عتبة. وهو يعنى بالأحكام وأسباب النزول وهو لايعتد بالاسرائيليات»[34] إلا أن هذه الخصائص التي استخرجها الدكتور حسين عصوان لايمكن نسبتها بحال إلى الزهري لأن هذه الأسانيد لاتنتهي عنده، بل هي كما صرح الدكتور نفسه محمولة عن شيوخه في هذا العلم.

وإذا كان الزهري قد ذاع صيته في مجال السيرة والمغازي النبوية، وصار مقدم علماء عصره في هذا العلم، فما ذلك إلا لتمكنه من علم الحديث النبوي،

---

(32) ابن عساكر ص : 29.

(33) ابن عساكر ص : 140.

(34) «رواية الشاميين» ص 78 - 79.

خصوصا الجانب المنهجي منه المتعلق بضبط الأسانيد وغربلتها، فحاول تطبيق هذا المنهج على الروايات التاريخية بصفة عامة والتي كانت تهمل الجانب التوثيقي في غالب الأحيان أي الاعتناء بأسانيدها.

وهذا ما دفع الدكتور الدوري إلى القول: «إن وجهة الزهري في الأساس هي وجهة محدث، فقد كان همه أن يحصل على العلم أو الأحاديث، وبضمنها الأحاديث التاريخية...»[35].

ويمكن الكلام عن دور الامام الزهري في خدمة الحديث النبوي عبر ثلاث نقط:

الأولى : وهي إسناده للحديث النبوي، ويروى في هذا عن تلميذه الامام مالك حيث قال: «أول من أسند الحديث ابن شهاب»[36].

إلا أنه لايجب أن نفهم انطلاقا من هذا القول أن أئمة الحديث قبل الزهري كانوا لايسندون الأحاديث، أو أن الاسناد كان غير معروف قبل الزهري. بل المقصود من كلام الامام مالك أن الزهري ألزم نفسه الاهتمام بسلاسل الأسانيد لعدد كبير من الأحاديث التي لم يكن اسنادها معروفا قبله[37].

ومما يؤيد هذا التفسير رواية أوردها أبو نعيم في حليته جاء فيها: «جلس اسحاق بن عبد الله بالمدينة في مجلس الزهري، فجعل اسحاق يقول: قال رسول الله ﷺ. فقال الزهري: مالك قاتلك الله يا ابن أبي ضروة، ما أجرأك على الله! أسند حديثك، تحدثوننا بأحاديث ليس لها خطم ولا أزمة»[38]

فالزهري كما نرى هنا يحض على إسناد الأحاديث ونسبتها إلى رواتها عملا بمقتضيات الأمانة العلمية.

ويدخل في نفس السياق ماقاله عمر بن عبد العزيز حول حديث الزهري: «ما رأيت أحدا أحسن سوقا للحديث إذا حدث من الزهري»[39] وما قاله

---

(35) «بحث في نشأة علم التاريخ ..» ص : 93.

(36) «الجرح والتعديل» ج 3 ص : 74.

(37) تاريخ التراث «لفؤاد سزكين ج 1 ص : 450.

(38) حلية الأولياء : ج 3 ص : 365.

(39) الجرح والتعديل ج 8 ص : 72.

أيضا عمرو بن دينار: «ما رأيت أحدا أنص للحديث من الزهري..»[40]

الثانية : تدوينه للحديث النبوي، فقد اشتهر الامام الزهري بكتابته للحديث النبوي، ولذلك قال الامام مالك: «أول من دون العلم ابن شهاب[41].

وليس المقصود هنا مطلق الكتابة، فقد اشتهر علماء من قبله بالكتابة سواء في مجال الحديث أو غيره من مجالات العلوم الاسلامية، ومن بينهم أبو بكر بن حزم حين كفله عمر بن عبد العزيز بذلك[42].

فيبقى المراد هنا أن الزهري أول من قام بكتابة الأحاديث كتابة منظمة، فهو بذلك يمثل المرحلة الثانية من مراحل التدوين[43]

الثالثة : إن الزهري تفرد من بين علماء الحديث في عصره بطريقة جديدة لتوثيق الأحاديث، وهي اتخاذه الاسناد الجمعي، أي جمع عدة طرق للحديث الواحد، زيادة في التأكيد على صحة المنقول والمروي.[44].

وإضافة إلى اهتمام الامام ابن شهاب بالجانب التوثيقي للحديث، فقد عدّ أيضا من أكثر أهل طبقته جمعا للمادة العلمية في مجال الحديث النبوي إلشريف، فإن اسمه يرد بشكل مكثف في حلقات السند المعتمدة في معظم كتب الحديث إن لم نقل كلها، سواء في الصحاح الست أو المسانيد أو غيرها من كتب الحديث، وهذا ما دفع فؤاد سزكين إلى القول: «ويتضح لنا من بحث سلاسل الأسانيد أن اسم الزهري يحتل عند معظمهم المكان الثاني بعد اسم الرسول (ﷺ)، وهذا يجعلنا نقرر له دوره الكبير في تاريخ الحديث»[45].

وقد قرر ذلك علماء الحديث قبل سزكين، فهذا ابن المديني يقول: «دار

---

(40) الجرح والتعديل ج 8 ص : 73.
(41) حيلة والأولياء ج 3 ص : 363.
(42) تاريخ التراث : ج 1 ص : 451.
(43) تاريخ التراث : ج 1 ص : 451.
(44) «نشأة علم التاريخ» ص : 94.
(45) تاريخ التراث ص : 450 ج 1.

علم الثقات على الزهري وعمرو بن دينار بالحجاز، وقتادة ويحيى بن أبي كثير بالبصرة وأبي اسحاق والأعشى بالكوفة»[46]. ويوضح الذهبي ذلك بقوله:

«يعني أن أغلب الأحاديث الصحاح لاتخرج عن هؤلاء الستة». أما في مجال الفقه فإنه من الطبيعي لرجل بلغ تلك المكانة في الحديث أن يبرز في علم الفقه، وما الفقه إلا معرفة الأحكام التفصيلية المستنبطة من الأدلة الشرعية، وما هذه الأدلة إلا القرآن الكريم والحديث النبوي، وغيرها من المصادر التشريعية التي تتفرع من المصدرين السابقين.

وتكفينا هنا شهادة إمام المذهب المالكي ومؤسس المدرسة الفقهية بالمدينة حيث قيل أن مطرف بن عبد الله اليساري قال: «سمعت مالك بن أنس يقول: ما أدركت بالمدينة فقيها محدثا غير واحد فقلت من هو؟ فقال : ابن شهاب الزهري»[47].

وقد أورد ابن عساكر في تاريخه عدة أخبار تفيد أن الزهري كان من الذين يرجع إليهم في المسائل الفقهية المستعصية، ومن بين هذه المسائل قضية «الخنثى» والأحكام المتعلقة به وفي ذلك يقول ابن عساكر : «أجاب الزهري بعض خلفاء بني مروان في الخنثى فقال الشاعر عند قضائه بذلك

ومهمة أعيى القضاة عياؤها   تذر الحكيم يشك شك الجاهل
عجلت قبل حنيذها بشوائها   وأبنت مفظعها بحكم فاصل
فتركتها بعد الحماية سنة   للمهتدين وللامام العادل»[48]

وجاء أيضا في تهذيب التهذيب ما نصه: «وقال الليث بن جعفر بن ربيعة، قلت لعراك بن مالك، من أفقه أهل المدينة؟ فذكر سعيد بن المسيب وعروة وعبيد الله بن عبد الله، قال عراك، وأعلمهم عندي جميعا ابن شهاب لأنه جمع علمهم إلى علمه»[49] وقد يطول بنا الحال لو استعرضنا كل أقوال العلماء حول مكانة الامام ابن شهاب الفقهية، لذلك نكتفي بما سبق.

---

(46) تذكرة الحفاظ «للذهبي ج 1 ص : 111

(47) طبقات ابن سعد ج 2 ص: 388.

(48) ابن عساكر ص : 136.

(49) تهذيب التهذيب ج 9 ص : 448.

وقبل الانتقال إلى الكلام عن اهتمامه بعلم الأنساب أود الأشارة هنا إلى موقفه من مسائل علم الكلام، وإن كنا لانتوقع من الزهري المحدث والفقيه موقفا شاذا عن موقف المدرسة الحديثية من علم الكلام، وبالفعل فإننا نجده يمشي في نفس الاتجاه، ونستأنس هنا بنص أورده ابن عساكر جاء فيه: «... حدثني الليث، قال: جئت ابن شهاب يوما بشيء من الرأي، فقبض وجهه، قال: الرأي ؟ ــ كالكاره له ــ ثم جئته بعد ذلك يوما آخر بأحاديث من السنن، فتهلل وجهه، وقال: إذا جئتني، فأتني بمثل هذا»[50].

أما علم الأنساب فقد بلغ فيه الزهري شأوا بعيدا حتى أنه ألف فيه كتابا اشتهر في الآفاق بعده، وهو كتاب «نسب قريش»[51].

ويعتقد سزكين أن مصعب الزبيري قد اعتمد في كتابه: «نسب قريش» على كتاب الزهري، كما اعتقد أنها توجد مقتبسات من كتابه هذا مبثوثة في كتابي «جمهرة الأنساب» لابن حزم، «والاصابة» لابن حجر[52].

ويبدو أن الزهري في أيام طلبه الأولى كان قد أعرض عن حلقات دروس الأنساب، مفضلا دروس الفقه والحديث: «.. نا عبد الرحمن بن عبد العزيز قال: سمعت الزهري يقول : نشأت وأنا غلام لا مال لي مقطع من الديوان، فكنت أتعلم نسب قومي من عبد الله بن ثعلبة بن صغير العذري، وكان عالما بنسب قومي، وهو ابن أختهم وحليفهم فأتاه رجل فسأله عن مسألة من الطلاق فعيي بها، وأشار له إلى سعيد بن المسيب. فقلت في نفسي الا أراني مع هذا الرجل المسن يعقل أن رسول الله ﷺ مسح على رأسه، وهو لايدري ما هذا!!، فانطلقت مع السائل إلى سعيد بن المسيب، فسأله فأخبره، فجلست إلى سعيد وتركت عبد الله بن ثعلبة»[53] إلا أن هذا لايعني أن الزهري أعرض عن علم الأنساب بصورة مطلقة، بل إنه أعطى الأولوية ــ وهو في مراحل طلبه الأولى ــ للفقه والحديث، وبعد أن تمكن منهما عاد إلى الاهتمام بعلم الأنساب.

(50) ابن عساكر ص: 142.

(51) تذكرة الحفاظ ج 1 ص : 111.

(52) تاريخ التراث ج 1 ص : 453.

(53) ابن عساكر ص : 65 - 66.

ولو لم يكن الأمر كذلك لما طلب منه خالد بن عبد الله القسري أن يكتب له كتابا في النسب، وقد أورد هذا الخبر الأصفهاني في كتابه «الأغاني» وجاء فيه: «قال المدائني في خبره ــ أي في خبر خالد بن عبد الله القسرى ــ وأخبرني ابن شهاب قال: قال لي خالد بن عبد الله القسري : اكتب لي النسب، فبدأت بنسب مضر وما أتممته، فقال اقطعه قطعه الله مع أصولهم، وأكتب لي السيرة.[54]

(54) الأغاني الجزء 19 المجلد 7 ص : 59.

مرويـات الزهـري في السيرة النبويـة

المبحث الأول : الإمام الزهري راويا للسيرة النبوية

1 ـــ مصادره في السيرة النبوية :

إن أغلب الدراسات التي اعتنت بالاتجاه التاريخي للامام ابن شهاب أكدت أن أغلب اعتماد الزهري في مرويات السيرة النبوية كان بالدرجة الأولى على عروة بن الزبير، ثم سعيد بن المسيب ثم عبيد بن عبد الله بن عتبة، ويقول الدكتور الدروي في ذلك : «هذا وروايات عروة هي المصدر الأول للزهري فيما وصلنا من مغازيه، وبجنب عروة يكثر الزهري من الرواية عن سعيد بن المسيب وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة ..»[55] وقد حاولت في هذا الصدد جرد مرويات الامام الزهري في السيرة النبوية من كتاب المغازي المستل من مصنف عبد الرزاق[56]. فوقفت على حوالي ثلاثة وستين نصا برواية الزهري، وبعد عملية جرد الأسانيد توصلت إلى ما يلي :

ــ سبعة عشر منها تقف اسنادها عند الزهري[57]

ــ اثنى عشر منها يرويها عن عروة بن الزبير[58]

ــ ستة يرويها عن عبيد بن عبد الله بن عتبة[59]

ويروي عن كل من سعيد بن المسيب وعبد الرحمن بن كعب خمس نصوص[60]

---

(55) بحث في نشأة علم التاريخ ص : 79 - 88.

(56) مصنف عبد الرزاق ج 5.

(57) انظر المغازي النبوية: ص: 174,167,150,122,111,106,91,90,84,78,58,54,51,48,46,45,37.

(58) انظر المغازي النبوية ص : 95,76,71,62,50 مكرر ,180,165,164,143,130.

(59) انظر المغازي النبوية ص : 139,136,131,130,86,58.

(60) عن سعيد من نفس المرجع ص : 169,116,94,93,49 وعن عبد الرحمن ص : 133, 131, 113, 112,94.

– ويروي أربعة نصوص عن أنس بن مالك رضي الله عنه[61]

– وثلاثة عن سالم بن عبد الله[62]

– ويروى روايتين عن عبد الله بن عبد الرحمن بن كعب[63]

أما الروايات الباقية فرواها مرة واحدة عن كل من عبد الله بن عباس[64]، وعبد الله بن ثعلبة[65] وحميد بن عبد الرحمن[66] وحمزة بن عبد الله[67] ومالك بن أنس[68] وعمرة[69]، وعمرو بن أبي سفيان الثقفي[70]، وكثير بن العباس[71] وأبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث[72].

والذي يلاحظ من خلال كل هذا أن اعتماد الزهري دار على ثلاثة شيوخ وهم بالترتيب عروة بن الزبير، ثم عبيد الله بن عتبة، ثم سعيد بن المسيب.

ويبدو أن الدكتور حسين عطوان وصل إلى نفس النتيجة تقريبا بعد جرده لمرويات الزهري من مغازي الواقدي حيث استنتج أن: «نقل الواقدي من طريقه تسعين خبرا منها ستة وعشرون خبرا تنتهي أسنادها عنده، ولا ترتفع إلى أحد من شيوخه، وأما سائرها فأخذ عن شيوخه الكبار، فقد روى سبعة عشر خبرا عن عروة بن الزبير، واثني عشر خبرًا عن سعيد بن المسيب، وستة أخبار عن عبيد الله بن عتبة، وأربعة أخبار عن سالم بن عبد الله، وأربعة أخبار عن ابن كعب بن مالك لعله عبد الله ..[73]

(61) نفس المرجع ص : 135,132,43 مكرر.

(62) نفس المرجع ص : 134,71.

(63) نفس المرجع ص : 168.

(64) نفي المرجع ص : 171.

(65) نفس المرجع ص : 171.

(66) نفس المرجع ص : 169.

(67) نفس المرجع ص : 170.

(68) نفس المرجع ص : 163.

(69) نفس المرجع ص : 164.

(70) نفس المرجع ص : 67.

(71) نفس المرجع ص : 92.

(72) نفس المرجع ص : 130.

(73) رواية الشاميين ص : 86,85.

ولابأس هنا أن نعرض ولو بايجار لاهتمام هؤلاء الشيوخ بالسيرة النبوية الذين عليهم مدار مرويات الزهري ونكتفي بالثلاثة المقدمين في هذا العلم:

أ ـــ **عروة بن الزبير:** هو ابن الزبير بن العوام بن خويلد أمه أسماء ابنة أبي بكر بن الصديق رضي الله عنه، اختلف في تاريخ ولادته ما بين سنة 22 و 23 هـ،[74]، وتوفي سنة 94 هـ. وقد صرح كثير ممن اهتموا بتاريخ تدوين العلوم الاسلامية أنه كتب في السيرة النبوية، حيث جاء في فهرست ابن النديم في ترجمته لأبي حسان الزيادي المتوفى سنة 243 هـ: «وله من الكتب كتاب مغازي عروة بن الزبير»[75].

وقال صاحب كشف الظنون: «مغازي رسول الله ﷺ. جمعها محمد بن اسحاق أولا، ويقال أول من صنف فيها عروة بن الزبير[76]».

كما أننا نجد اقتباسات كثيرة من مرويات عروة بن الزبير مبثوثة في كتب المسانيد. وكتب السنن، وكتب التاريخ تكاد تصل إلى عروة بسند موحد مما يدل أن أصحاب هذه الكتب يعتمدون على نسخة مكتوبة من مرويات عروة في السيرة[77].

ويظهر من خلال هذا أن عروة بن الزبير كان من أقطاب علم السيرة النبوية في عصره ولذلك نجد الزهري يجعله على رأس قائمة الشيوخ الذين أخذ عنهم في هذا المجال.

ب ـــ **عبيد الله بن عتبة بن مسعود:** الفقيه العلم، كان من كبار الفقهاء السبعة، وروى عن أبي هريرة وعائشة وابن عباس .. وكان له اهتمام خاص بمجال

(74) تهذيب التهذيب ج 7 ص : 184.

(75) الفهرست ص : 166.

(76) كشف الظنون ج 2 ص : 1746 - 1747.

(77) وكنت قد قمت ببحث حول كتاب: «مغازي عروة بن الزبير «الذي استخرجه د. مصطفى الأعظمي من بعض المصادر التي احتفظت بمروياته. وذيلت هذا البحث ببعض الملاحظات أهمها: أنه كان يدخل في نص الكتاب مرويات ليست من كلام عروة. ثم إنه لم يكن يرجع في بعض الأحيان إلى المصادر الأصلية ثم اعتباره رسائل عروة إلى عبد الملك بن مروان من ضمن كتابه في السيرة، هذا إضافة إلى ملاحظات أخرى حول هذا العمل.

المغازي النبوية، إذ كان من المكثرين من مرويات هذا العلم، قال عنه الزهري: «كان عبيد الله من بحور العلم»(78) توفي سنة 98 هـ على الصحيح.

ج ــ **سعيد المسيب**: وهو سعيد بن المسيب بن حزن القريشي المخزومي روى عن أبي بكر وعمر وعثمان وابن عباس ... فقيه التابعين. توفي سنة 94 هـ(79) كان على اطلاع واسع بالأنساب والسيرة النبوية، ويظهر أن الطبري اعتمد على مروياته في السيرة النبوية اعتمادا كبيرا(80).

2 ــ أهم المصادر التي احتفظت بمروياته

إذا قمنا بتتبع كتب السيرة بالدرجة الأولى وبعض كتب الحديث والتاريخ، فإننا سنجد اسم الزهري يتردد كثيرا في حلقات السند. وإذا كان ذلك يتردد في جميع المحاور التي تضمنتها كتب السير والمغازي، فإنه اقتصر في كتب الحديث والتاريخ على المحاور التي اختصت متونها بموضوع المغازي والسيرة النبوية.

إلا أن تخلل اسم الزهري هذه الأسانيد لايعني بالضرورة أنها مقتبسة من كتاب له في السيرة، فقد تكون روايات شفوية، أو ربما يكون الزهري يرويها استنادا إلى كتب نقل منها ..

وسوف نرجيء الكلام حول كتابة الزهري في السيرة النبوية إلى موضع لاحق ــ إن شاء الله ــ وإذا أردنا استقصاء جميع مرويات الزهري ــ حول السيرة ــ المبثوثة في هذه المصادر المختلفة، فإننا سنحصل لامحالة على زخم هائل منها. إلا أن عملية الوقوف عليها جميعها يبدو لي صعب المنال، وذلك لعدة اعتبارات: أولاها أن هذه المصادر أغلبها لايتوفر على فهرس للأعلام، حتى يتيسر الرجوع إلى تلك المرويات . وثانيها: محدودية هذه المحاولة التي نقوم بها، سواء من حيث الوقت أو من حيث تيسر المادة العلمية الكافية.

لذلك فإنني سأعرض لأهم هذه المصادر التي احتفظت بمروياته بصورة مقتضبة. وقبل الانتقال إلى ذلك يجدر بي أن أشير إلى الدراسة التي قام بها كل

(78) تذكرة الحفاظ للذهبي ج 1 ص: 78.

(79) التهذيب ج 4 ص: 84 الترجمة 145.

(80) تاريخ التراث ج 1 ص : 445.

من د. الدوري[81] ود. حسين عطوان، حيث عملا على تقصي مرويات الزهري، وإن كنت أعتقد أنهما لم يستقصياها جميعا[82].

فبالنسبة للمصادر الحديثية نجد أن صحيح البخاري وصحيح مسلم احتويا على مجموعة مهمة من مرويات الامام الزهري، وإن كانت في الواقع أحاديث أحكام تتعلق بنظام الحرب في الاسلام[83]. حيث اتخذت هذه المرويات طابعا حديثيا محضا، الشيء الذي يدفعنا إلى القول بأنها لاتنتمي إلى مروياته التاريخية.

ولعل السبب في قلة مثل هذه المرويات في كتب الصحيح من الحديث راجع إلى الشروط التي اشترطها أئمة الحديث لقبول الأحاديث، والمرويات التاريخية عموما لم يُشترط في قبولها جميع تلك الشروط الدقيقة التي تبناها علماء الحديث. وقد شذ الصنعاني عبد الرزاق عن هذه القاعدة، حيث اتسمت المرويات التي نقلها عن الزهري بالطابع التاريخي أكثر مما اتسمت بالطابع الحديثي. ولعل هذا هو ما يفسر كثرة اعتماد عبد الرزاق على الزهري في باب المغازي الذي ضمنه مصنفه ..

أما مصادر السيرة والمغازي، فإننا نلاحظ أن مغازي الواقدي تتصدر قائمة هذه المصادر التي تعاملت مع مرويات الامام ابن شهاب الزهري.[84] ومعظمها مروي عن تلميذ الزهري معمر بن راشد، الذي اشتهر بأخذه السيرة عن شيخه الزهري.

وسأذكر هنا بعض النماذج من هذه المرويات : «حدثني معمر بن راشد عن الزهري عن ابن كعب بن مالك عن أبيه قال: كنت أول من عرف رسول الله ﷺ يومئذ ــ أي يوم أحد ــ فعرفت عينيه من تحر المغفر، فناديت: يامعشر الأنصار، أبشرو هذا رسول الله، فأشار إلي رسول الله ﷺ أن اصمت.»[85]

(81) «بحث في نشأة علم التاريخ» من ص : 82 إلى ص: 93.

(82) «رواية الشاميين ..» من ص : 48 إلى ص: 110.

(83) «رواية الشاميين ..» ص : 84.

(84) انظر الدوري ص : 82 وعطوان ص : 85.

(85) «مغازي الواقدي» ج 1 ص : 236.

«فحدثني معمر عن الزهري عن خارجة بن زيد عن أم العلاء قالت: صار لنا عثمان بن مظعون في القرعة، وكان في منزلنا حتى توفي، وكان المهاجرون في دورهم وأموالهم. فلما غنم رسول الله ﷺ بني النضير دعا ثابت بن قيس بن شماس فقال: ادع لي قومك قال ثابت: الخزرج يارسول الله؟ قال رسول الله ﷺ الأنصار كلها فدعا له الأوس والخزرج ..»

وقد تضمن الكلام الباقي قسمة الغنائم بين الأنصار والمهاجرين يوم بني النضير[86] ولقد تعمدت الاتيان بهذه النماذج حتى يتأكد لنا مدى غلبة الطابع التاريخي الذي تميزت به مرويات الزهري المبثوثة في مغازي الواقدي[87].

وقد حدد د. حسين عطوان مرويات الزهري في مغازي الواقدي في تسعين خبرا ستة وعشرون منها تنتهي أسنادها عند الزهري، وسائرها يرويها الزهري عن شيوخه[88].

ونجد أيضا مقتطفات من مغازي الزهري متفرقة في سيرة ابن هشام حيث اعتمد على الزهري في أكثر من موضع[89].

كما يوجد عدد من المرويات المنسوبة للزهري في طبقات ابن سعد، والتي أوصلها د. حسين عطوان إلى مائة وثلاثة وستين خبرا، واحد وأربعون منها تنتهي أسنادها عند الزهري، أما سائرها فأخذها الزهري عن شيوخه الكبار[90].

ومما يلحق بقائمة هذه المصادر التي استفادت من مغازي الزهري، الطبري في تاريخه، والبلاذري في أنسابه، وابن سيد الناس في عيون الأثر، حيث اقتبسوا جميعا عددا مهما من الأخبار والأحداث التي لها علاقة بالسيرة من الزهري.

ولعل الدكتور عبد العزيز الدوري كان محقا حين قال: «وليس لدينا من مغازي الزهري إلا مقتطفات وردت بالدرجة الأولى في ابن اسحاق والواقدي

---

(86) الواقدي: ج 1 ص: 378 - 379.

(87) انظر كذلك الواقدي ج 3 : ص: 877-881-889-890-945.

(88) رواية الشاميين : «ص : 85 - 86.

(89) نفس المرجع ص : 91.

(90) نفس المرجع ص : 93.

والطبري والبلاذري وابن سيد الناس»[91]. ومما يجب أن يسجل هنا ونحن نحوم حول المصادر التي احتفظت بمرويات الامام ابن شهاب الزهري، هو الاغفال الذي وقع من طرف الباحثين حول كتاب: «المعرفة والتاريخ» ليعقوب بن سفيان الفسوي، وذلك لأنه احتوى على مجموعة من مرويات الزهري في المغازي. وقد جاء في مقدمة التحقيق ما يلي: «وقد روى عنه ــ يقصد الزهري ــ يعقوب حوالي 50 نصا عدا ما أورد من روايات تتصل بحياته، وقد وردت معظم مرويات الزهري من ثلاثة طرق :

1. أبو اليمان الحكم بن نافع ــ شعيب بن حمزة ــ الزهري (34 نصا).
2. الحجاج ابن أبي منيع ــ جدُّه ــ الزهري (23 نصا).
3. رواة عديدون ــ يونس بن يزيد الايلي ــ الزهري (36 نصا)»[92].

3 ــ خصائص مروياته :

إن الكلام عن الخصائص المميزة لكتابات الزهري في مجال البيرة النبوية وأحداث المغازي، لايمكن أن تتخذ كأساس لها الا تلك المرويات المقتطفة من بعض المصادر التي سبقت الاشارة إليها. وقد قام الدكتور عبد العزيز الدروي برصد أهم هذه الخصائص في كتابه: «بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب»[93]. إلا أنه ركز اهتمامه بصور خاصة على الخصائص التي لها علاقة بالمنهج التاريخي الذي تميز به الامام الزهري في مروياته، ولا غرو في ذلك فإن الدوري يعتبر الزهري مؤسسا للمدرسة التاريخية في المدينة[94].

وسنحاول في هذه المحاولة المتواضعة أن نسجل أهم هذه الخصائص التي تميزت بها مرويات الزهري في السيرة، مستأنس في ذلك بما سجله الدوري حول هذا الموضوع.

(91) الدروى ص : 82.

(92) المعرفة والتاريخ : ص: 43 ج 1.

(93) من ص: 93 إلى ص: 102.

(94) نفس المرجع ص: 12.

إن المتفحص لمرويات الزهري التاريخية مقارنا ذلك بمرويات سابقيه لايلبث إلا أن يخرج بالانطباع التالي :

وهو أن الزهري أعطى لأحداث السيرة والمغازي أبعادًا علمية، وتعامل مع مضامين السيرة بطريقة منهجية ملحوظة.

وحكمنا بمنهجية الزهري في تأريخه للسيرة النبوية، يستلزم هنا التدليل الكافي على صدق هذا الحكم.

ويمكن تفريع منهج الزهري في مروياته إلى منهج نقلي ومنهج تاريخي. فالبنسبة للمنهج النقلي نجده واضحا عنده في استشهاداته الكثيرة بآيات القرآ ن الكريم في كثير من مروياته.

ولعل ما يفسر اعتماد الزهري على القرآن الكريم، هو اقتناعه بأن القرآن الكريم هو أول ما يمكن أن يرجع إليه بصفته أوثق مصدر لبعض أحداث السيرة والمغازي النبوية. ولقد كان الزهري مصيبا في اعتماده على القرآن الكريم لأن كتاب الله العزيز جاء حافلا بالاشارات إلى شؤون المسلمين[95].

ولو تصفحنا باب المغازي في مصنف عبد الرزاق، لاتضح لنا أن الزهري اعتمد على القرآن الكريم محاولا ربط أحداث السيرة والمغازي بأسباب نزول القرآن، حيث أنه وجد في أسباب النزول مادة تاريخية كافية وموثوق بصحتها في نفس الحين.

وهاهي بعض النماذج التي توضح ذلك :

«قال الزهري : فأخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن عن جابر بن عبد الله قال: سمعت رسول الله ﷺ، وهو يحدث عن فترة الوحي، فقال في حديثه: أنا أمشي سمعت صوتا من السماء، فرفعت رأسي، فإذا الذي جاءني بحراء جالسا على كرسي بين السماء والأرض فجئثت منه رعبا. ثم رجعت، فقلت زملوني زملوني ودثروني، فأنزل الله تعالى: ﴿يا أيها المدثر﴾ إلى ﴿والرجز فاهجر﴾ قبل أن تفرض الصلاة وهي الأوثان»[96] ثم جاء نسوة مؤمنات فأنزل الله ﴿يا أيها الذين

(95) الدوري ص : 94 / ورواية الشاميين ص : 111.

(96) المغازي ص : 45.

آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات﴾ حتى بلغ ﴿بعصم الكوافر﴾، فطلق يومئذ عمر امرأتين كانتا له في الشرك، فتزوج أحدهما معاوية بن أبي سفيان والأخرى صفوان بن أمية ..»[97].

«قال ـ أي الزهري ـ فو الله ما يسمعون بعير خرجت لقريش إلى الشام إلا اعترضوا لهم فقتلوهم، وأخذوا أموالهم، فأرسلت قريش إلى النبي ﷺ تناشده الله والرحم، إلا أرسل إليهم، فمن أتاه فهو آمن، فأرسل النبي ﷺ فأنزل الله: ﴿هو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ..﴾[98]. وهكذا لايلبث الزهري يتعرض لحدث له علاقة بالسيرة النبوية إلا حاول أن يربطه بآية قرآنية مع الاعتماد على سبب نزولها.

ومما دعم به الزهري منهجه النقلي أيضا، اعتماده المكثف على الحديث النبوي لتوثيق أخبار السيرة والمغازي.

ولا يمكننا بحال أن نقول إن الزهري تفرد عن باقي مؤرخي السيرة بالاعتماد على الحديث النبوي، وذلك لأن علم السيرة والمغازي لم يكن ليأخذ صورته التي صار عليها لولا الاعتماد على الأحاديث النبوية بصفتها المادة الأساسية التي انطلق منها مؤرخو السيرة النبوية.

ولعل احتواء معظم كتب الحديث لأخبار السيرة والمغازي مما يعضد ذلك. حيث أننا نلاحظ أن المحدثين خصصوا بابا خاصا بالمغازي والسيرة في كتبهم الحديثية، بوصف باب المغازي يشكل جزءا من المباحث الحديثية. ويبقى أن ما تفرد به الزهري في إطار اعتماده على علم الحديث هو أنه استفاد من علم مصطلح الحديث، وحاول تطبيقه على مرويات السيرة النبوية، ومما يشهد له بذلك ادخاله «الإسناد الجمعي» لتوثيق تلك المرويات، وذلك بجمع عدة روايات يتقدمها رجال الأسانيد[99].

ولعل هذا هو الذي حذا بالدكتور الدوري أن يقول: «إن وجهة الزهري في الأساس هي وجهة محدث فقد كان همه أن يحل على «العلم» أو الأحاديث

(97) المغازي ص : 56.

(98) المغازي ص : 57.

(99) الدوري ص : 94.

وبضمنها الأحاديث التاريخية[100]». كما يظهر لقاريء مرويات الزهري اعتماده أحيانا على بعض الأبيات الشعرية التي أنشدت حول المغازي بصورة خاصة، أو قيلت حول أحداث سيرة الرسول ﷺ بصفة عامة.

والزهري لم يكن ليخفي ولعله بالشعر، فهو القائل: «هاتوا أشعاركم وأحاديثكم، فإن الأذن محاجة والنفس محمضة[101]» وسأذكر هنا بعض النماذج لاعتماداته الشعرية حتى يتضح منهجه في ذلك. بعد أن سرد الزهري وقائع وقعة «هذيل» بالرجيع جاء ببيتين لخبيب بن عدي جاء فيها :

ولست أبالي حين أقتل مسلما على أي شق كان لله مصرعي
وذلك في ذات الإله وإن يشأ يبارك على أوصال شلو ممزَّع[102]

وأورد أيضا بيتين قالهما الرسول ﷺ عند هجرته هو وأبو بكر إلى المدينة وبناء المسجد :

«وطفق الرسول ﷺ ينقل معهم اللبن في ثيابه وهو يقول :

هــذا الحمــال لاحمال خير هــذا أبــر ربنــا وأطهــر

ويقول :

اللهم إن الأجر أجر الآخرة فارحـــم الأنصار والمهاجرة[103]

ولعل ما يفسر ايراد الزهري قطعا شعرية في مغازيه، ميل الناس للشعر في تلك الفترة، وأنه كان يمثل بالنسبة لهم عنصرا أساسيا في الثقافة. فمن هنا جاء اهتمام الزهري بالشعر حتى يروح على أسماع المنصتين[104].

أما فيما يخص ايراد الزهري للقصص الشعبية، وبعض الاسرائيليات في سيره ومغازيه، فإن ذلك يعد ضئيلا في كتاباته، وذلك لأنه استقى معظم المعلومات

---

(100) الدوري ص : 93.

(101) رواية الشاميين ص : 112.

(102) المغازي ص : 68.

(103) المغازي ص : 104.

(104) الدورى ص : 95.

التاريخية من الأحاديث التي جاءت بتغطية شاملة لجميع أحداث السيرة والمغازي.

وقد قام الدكتور حسين عطوان بتتبع المواضع التي أورد فيها الزهري بعض القصص الشعبية، وبعض الاسرائليات، والذي يلاحظ أن الزهري استعملها في تأريخ فترات ما قبل البعثة ..[105]

أما فيما يخص منهجه التاريخي، فإننا نلمسه في بعض الاستعمالات التي تنم عن اعتماده على منهجية تاريخية.

فنجده في بعض المواضع يأتي بمجموعة من الأخبار المتعارضة، ثم يعقد مقارنة بينهما، إلى أن يصل إلِى النتيجة العلمية. وهذا كما لايخفى مبدأ أخذت به الكتابات التاريخية في فترات بعد فترة الامام الزهري بكثير.

والمتتبع لمروياته لايلبث أن تطالعه مثل هذه الملاحظات، وسأذكر هنا نموذجا منها.

«عن الزهري قال: فلبث الرسول ﷺ مع خديجة حتى ولدت له بعض بناته، وكان لها وله القاسم.

وقد زعم بعض العلماء أنها ولدت له غلاما آخر يسمى الطاهر. قال: وقال بعضهم: ما نعلمها ولدت له إلا القاسم، وولدت له بناته الأربع: زينب وفاطمة، ورقية وأم كلثوم».[106]

فمن خلال هذه الرواية نلاحظ أن الزهري يستخدم عبارات لها دلالتها ووزنها في الكتابات التاريخية الرصينة (زعم – بعض العلماء) ويتأكد هذا أكثر إذا قارنا ما قاله الزهري حول هذا الموضوع بالذات بما جاء عند خلفه محمد بن اسحاق حيث قال: «فولدت له ـــ أي خديجة ـــ قبل أن ينزل عليه الوحي ولده كلهم: زينب وأم كلثوم ورقية، وفاطمة والقاسم والطاهر والطيب. فأما القاسم والطاهر والطيب فهلكوا قبل الاسلام، وبالقاسم كان يكنى ﷺ».[107]

---

(105) رواية الشاميين ص : 113.

(106) المغازي ص : 43.

(107) ابن اسحاق ص : 82.

فها نحن نلاحظ هنا أن ابن اسحاق عرض لهذا الحدث التاريخي، وكأنه مسلم بكل جزئياته، دون الاشارة إلى الأقوال المتضاربة التي قيلت حوله ..

ومن خلال ما سبق نعود إلى تقرير ما أكده د. عبد العزيز الدوري بأن الامام ابن شهاب الزهري يعتبر بحق مؤسس المدرسة التاريخية في المدينة.

المبحث الثاني : الإمام الزهري كاتبا للسيرة النبوية

لقد شغلت مسألة التدوين بال كثير من ا لباحثين في شتى مجالات العلوم الاسلامية، وليست هذه القضية بالمستحدثة بل خاض فيها كثير من العلماء المتقدمين. وخير دليل على ذلك الكتاب الذي أفرده الخطيب البغدادي لهذا الموضوع مند القرن الخامس الهجري ألا وهو كتاب: «تقييد العلم»[108]. حيث أكد في ثناياه أن تدوين العلوم الاسلامية ــ وعلى رأسها الحديث النبوي ــ كان في فترة متقدمة جدا عكس ما اعتقده البعض. ودليله على ذلك أن حديث أبي سعيد الخدري: «من كتب عني غير القرآن فليمحه» كان خاصا بفترة نزول الوحي، وبعد اكتمال نزوله أباح الرسول ﷺ كتابة غير القرآن، لأنه لم يعد هناك ما يخاف عليه، فالقرآن اكتمل نزوله وجمع في الصحف وبذلك يكون في مأمن أن تختلط آياته ببعض الأحاديث النبوية.[109]إلا أن كتابات المتقدمين حول هذه المسألة لم تكن لتقفل باب البحث فيها، فقد أثيرت في عصرنا الحالي، وإن كان البحث فيها اتخذ صبغة خاصة، خصوصا على يد بعض المستشرقين أمثال جولدزيهر وشبرنجر[110] في مجال الحديث النبوي، ويوسف هوروفتس في مجال السيرة النبوية، وذلك في كتابه : «المغازي الأولى ومؤلفوها».

ومما يجب تسجيله هنا هو بعض التجاوزات التي وقع فيها هؤلاء المستشرقين بخصوص هذه المسألة، خصوصا المستشرقين الأولين، وقد رد عليهما فؤاد سزكين في كتابه: «تاريخ التراث»[111].

---

(108) «تقييد العلم» للخطيب البغدادي. تحقيق يوسف العش.

(109) نفس المرجع.

(110) تاريخ التراث لفؤاد سزكين.

(111) تاريخ التراث لفؤاد سزكين.

لكن الذي يُحمد لأمثال هؤلاء المستشرقين، هو إثارتهم لهذه المسألة، الشيء الذي حفز كثيرا من الباحثين المسلمين إلى إعادة البحث فيها بطريقة منهجية، والخُروج بنتائج مهمة وحاسمة في نفس الوقت.

وبما أن موضوعنا يتعلق بمرويات الامام ابن شهاب في السيرة النبوية، فإنه من اللازم إثارة موقفه من الكتابة والتدوين عموما، وكتابته في السيرة النبوية خصوصا.

إن موضوعا كهذا لايمكن التعامل معه إلا بالاعتماد الكلي على النصوص الواردة في كتب التراجم والطبقات التي اهتمت بالزهري.

ولقد قمت بتتبع أهم هذه المصادر باحثا عن أقوال تهم موضوع: «كتابة الزهري» وقبل محاولة تحليل هذه الأقوال، أود أن أسجل ملاحظة عامة استنتجتها من خلال الاطلاع على هذه النصوص، وهي وجود اضطراب ظاهري بين هذه النصوص بخصوص مسألة كتابة الزهري للعلم.

فأغلب هذه النصوص أجمع أصحابها أن الامام ابن شهاب كان يكتب، وها هي بعضها.

روي عن عصري الزهري أبي الزناد قوله: «كنا نكتب الحلال والحرام، وكان ابن شهاب يكتب كلما يسمع، فلما احتيج إليه علمت أنه أعلم الناس».(112)

وقد أورد ابن سعد في طبقاته نصا مشابها لهذا إذ جاء فيه: «أخبرنا معمر أخبرني صالح بن كيسان، قال: اجتمعت أنا والزهري ونحن نطلب العلم، فقلنا نكتب السنن. قال: وكتبنا ما جاء عن النبي ﷺ ثم قال نكتب ما جاء عن الصحابة، فإنه سنة، قال: قلت أنه ليس بسنة فلا نكتبه، قال فكتب و لم أكتب، فأنجح وضيعت».(113)

وقد نقل ابن عساكر هذا النص كاملا دون الاعتماد على ابن سعد مما يدعو إلى الركون نحو مصداقية ما جاء فيه(114).

---

(112) تهذيب التهذيب لابن حجر ص: 148.

(113) طبقات ابن سعد ج 2 ص : 388 - 389.

(114) ابن عساكر ص: 62.

وقال ابن سعد في طبقاته ما نصه: «وأخبرت عن عبد الرزاق، قال سمعت معمرًا قال: كنا نرى أنا قد أكثرنا على الزهري حتى قتل الوليد، فإذا الدفاتر قد حملت على الدواب من خزائنه يقول ـــ أي معمر ـــ من علم الزهري»[115] وهذه النصوص التي أوردتها هنا هي في الواقع جزء من كل، حيث إنها بلغت من الكثرة حدا لايتسع له مجال موضوعنا هذا. كما أنها تكاد تتفق على أن الزهري كان يكتب، فلا يبقى إذن مسوغ لحصرها جميعها.

وبخصوص مدى مصداقية ما ورد في هذه النصوص فإنه لايمكننا بحال من الأحوال التشكيك فيها، وذلك راجع للاعتبارات التالية :

أ ـــ أغلب هذه النصوص يرويها علماء ثقات جمعتهم بالزهري فترة طلب العلم، فهم من ناحية أولى قد عاصروه وعاشوا معه مدة كافية استطاعوا من خلالها أن يجزموا بأن الزهري كان يكتب، سواء في ذلك الذين درسوا معه أو الذين درسوا عليه.

فالنص الأول الذي جاء فيه أن ابن شهاب «كان يكتب كل ما سمع» رواه أبو الزناد الذي ثبت أنه رافقه في رحلة طلب العلم. وأبو الزناد هو من هو في تثبته وتحريه، إذ يستبعد عن مثله أن يقول مالم يشاهده من الزهري.

ونفس القول يقال حول الحكاية التي يرويها تلميذ الزهري معمر عن صالح بن كيسان الذي رافق الزهري في مرحلة الطلب، وأكد نفس الحقيقة التي أثبتها أبو الزناد.

أما بخصوص تلاميذ الزهري فإنا اقتصرنا على أثبتهم وعلى الذين يعدون في الطبقة الأولى من الآخذين عنه، وهما معمر بن راشد والامام مالك بن أنس.

فقد ذكر معمر كما رأينا في النص أنه رأى دفاتر الزهري تخرج من خزائن الوليد الأموي. وقد حكى معمر مثل هذا عن الزهري في أكثر من مناسبة. فيكف إذن يشكك في مثل هذه النصوص، وراويها معمر بن راشد الذي لازم شيخه ابن شهاب مدة ليست بالوجيزة. وخير دليل على طول ملازمته له تستنتج من ورود اسم معمر في غالب مرويات الزهري خصوصا المتعلقة بمرويات المغازي

(115) طبقات ابن سعد ج 2 ص : 389.

والسيرة. وعبد الرزاق في مصنفه وفي باب المغازي يكاد يروي مغازي الزهري كلها عن طريق معمر.

أما بالنسبة لتلميذه الامام مالك فإنه أيضا اعتبر من أبرز الذين أخذوا عن ابن شهاب، وأحاديث الموطأ أكبر شاهد على ذلك، فإذا قال الامام مالك: «إن أولِ من دون العلم ابن شهاب» فإننا ملزمون بتصديقه للاعتبارات التي قدمنا.

ب ــ ثم إن المصادر التي أوردت هذه النصوص كلها مصادر موثوق بها، معتمد على ما جاء فيها. وأخص بالذكر منها طبقات ابن سعد، وتهذيب التهذيب لابن حجر، فهما من المصادر التي يركن عادة لما جاء فيها. هذا بالاضافة إلى أن ابن سعد كان قريب العهد من ابن شهاب، حيث نجده يعتمد في معظم نصوصه على تلميذ الزهري عبد الرزاق الصنعاني صاحب المصنف تلميذ معمر بن راشد.

الصنف الثاني من هذه النصوص، النص الذي قد يستفاد منه أن الزهري كان لايكتب في مراحل حياته الأولى، ثم أرغم بعد ذلك على الكتابة والتدوين، وهو النص الذي أوردته مجموعة من المصادر، ودار حوله كثير من الكلام.

وقد أورد ابن سعد هذا النص في طبقاته حيث جاء فيه: «وأخبرت عن عبد الرزاق، أخبرنا معمر عن الزهري قال: كنا نكره كتاب العلم حتى أكرهنا عليه هؤلاء الأمراء، فرأينا أن لايمنعه أحد من المسلمين».[116]

وقد أورد ابن عساكر في تاريخه مجموعة من الروايات حول هذه المسألة، مركزا على تفاصيل هذه الواقعة، الشيء الذي سيساعدنا على فهم أوسع لتفاصيلها. ونحن نقتصر هنا على إحدى هذه النصوص:

«.. نامرزوق بن أبي الهذيل، قال: كان الزهري لايترك أحدا يكتب بين يديه. قال: فأكرهه هشام بن عبد الملك فأملى على بنيه. فلما خرج من عنده، دخل المسجد، فاستند إلى عمود من عمده ثم نادى يا طلبة الحديث.

قال: فلما اجتمعوا إليه: قال: إني كنت قد منعتكم أمرا بذلته لأمير المؤمنين آنفا، هلم فاكتبوا.

(116) طبقات ابن سعد ج 2 ص : 389.

قال: فكتب عنه الناس من يومئذ». [117] والقراءة الغير المتعمقة قد يستفاد بواسطتها أن الزهري كان لايكتب، إلى أن أرغمه أمراء بني أمية على الكتابة. إلا أنه إذا تمعنا في هذه النصوص وخصوصا التفصيل الذي أورده ابن عساكر وفي ضوء النصوص السابقة، سوف لن نحيد عن الصواب إذا قلنا إن الزهري كان يقصد بقوله: «كنا نكره كتاب العلم» كتابة التلاميذ عنه وتدوينهم لما يرويه وذلك لكي يقوي فيهم ملكة الحفظ والاستذكار.

أما كتابة الزهري لنفسه وتدوينه المرويات لاستعماله الخاص فلا ينقضها قول: «كنا نكره كتاب العلم» لأنه يقصد بذلك إباحة الكتابة عنه، وليس كتابته الخاصة. وإن قولنا النص غير ذلك فيلزمنا الدليل.

وإلى هذا ذهب المستشرق يوسف هورفتس حيث جاء في كتابه: «ويروى عن صالح بن كيسان .. «فكتب ــ أي الزهري ــ ولم أكتب، فانجح وضيعت» والأمر في جميع هذه الروايات أمر ملاحظات مدونة للاستعمال الخاص، أما جعل هذه الملاحظات في متناول الجمهور فكان أمرا جديدا».

ثم ذكر قول الزهري: كنا نكره كتاب العلم.. [118] ولقد كان حريّا بالدكتور عبد العزيز الدوري أن يذهب إلى مثل هذا، إلا أنه ذهب مذهبا كان يلزمه دليل عليه حيث قال: «أما ما ينسب إليه من أنه قال: كنا نكره الكتاب حتى أكرهنا ..» فيبدو أنه صدى لآراء المحدثين فيما بعد، والحقيقة أن الزهري اعتمد أن يكتب أحاديثه ورواياته منذ كان طالب علم» [119].

أما الصنف الثالث من هذه النصوص فإنها تتعارض في ظاهرها مع النتائج التي توصلنا إليها قبل قليل، حيث يستفاد من هذه النصوص أن ابن شهاب لم يكن يكتب.

ولم أجد مما يدخل في هذا السياق أكثر من نصين، ذكر الأول الذهبي، وأورد الثاني ابن عساكر.

---

(117) ابن عساكر ص : 91.

(118) المغازي الأولى ومؤلفوها ص : 64.

(119) بحث في نشأة علم التاريخ الدوري ص : 101.

ــ النص الأول: «عن ابن وهب قال: قال مالك: لقد هلك سعيد بن المسيب ولم يترك كتابا ولا القاسم بن محمد ولا عروة ولا ابن شهاب»[120].

ففي هذا النص ينفي الامام مالك أن يكون الزهري قد ترك كتابا بعد وفاته، ونحن نعلم أن الامام مالك هو القائل أيضا أن ابن شهاب هو أول من دون العلم. فيكف السبيل للتوفيق بين هاتين الروايتين المتناقضتين، ومن طرف قائل واحد هو الامام مالك ؟

وأمام هذه المشكلة لايسع الباحث إلا التشكيك في مصداقية النص الأخير الذي حكاه الذهبي عن الامام مالك، وذلك لعدة أسباب.

أولها: إن الذهبي تفرد بنقل هذا الخبر، والذي يفيد أن الزهري لم يكن له كتاب، بينما حصل شبه إجماع من طرف العلماء المعاصرين للزهري أنه كان يكتب.

ثانيهما : استحالة تناقض الامام مالك تجاه هذه المسألة.

أما النص الثاني فقد أورده ابن عساكر في تاريخه من عدة طرق وبصيغ مختلفة نذكر إحداها :

«.. سمعت مالك بن أنس يقول: أخذت بلجام بغلة الزهري، فسألته أن يعيد علي حديثا فقال:

ما استعدت حديثا قط ..

قال مالك: قلت لابن شهاب وأنا أريد أن أخصمه: ما كنت تكتب؟

قال : لا

قلت له: ولاتسأل أن يعاد عليك الحديث؟

قال: لا[121]».

فهذا النص: هو عبارة عن حوار دار بين الامام مالك وشيخه الزهري مفاده أن الزهري لم يأب أن يعيد الحديث على الامام مالك بعد أن فرغ من اقرائه.

---

(120) سير أعلام النبلاء ج 5 ص : 345 الذهبي.

(121) ابن عساكر ص: 79-80-81.

فإذا كنا قد شككنا في النص الأول لتفرد الذهبي به، فإنه لايسعنا ذلك هنا، لأن ابن عساكر ذكره من طرق مختلفة، وبصيغ متعددة مما يدعوا إلى تصديقه، كما أن أبا زرعة قد ذكره في تاريخه[122]. ولكن لنا أن نلتمس مخرجا وحيدا من هذه الرواية، وهو أن الزهري ربما قال للامام مالك حين سأله أنه كان لايكتب تشجيعا لتلميذه على الحفظ والاعتماد على الذاكرة، خصوصا وأنه في مرحلة الطلب بعد. وبذلك سنفهم من هذا النص أن الزهري نفى كتابته للعلم أيام الطلب ــ مع أنه كان يكتب ــ تشجيعا لتلميذه حتى يعتمد على الذاكرة.

كما أن عبارة الامام مالك «وأنا أريد أن أخصمه» توحي أنه كان يعلم أمر كتابة الزهري للعلم أيام طلبه، ولذلك حاول أن يحرجه بهذا السؤال.

وهكذا نكون قد كيفنا هذا النص مع النتائج التي سبق أن توصلنا إليها انطلاقا من النصوص السابقة، والتي أجمعت على أن الزهري كان يكتب بالفعل.

لقد استنتجنا من النصوص السابقة أن الامام ابن شهاب الزهري كان يكتب ويدون العلم، ولكن على وجه التحديد، هل كتب في السيرة النبوية والمغازي مؤلفا مستقلا ؟

إن هناك مجموعة من الدلائل أكدت على أن الزهري كتب بالفعل في مجال السيرة والمغازي النبوية، وأصل هذه الدلائل هي هذه النصوص الكثيرة والمتعددة الصيغ التي أكدت على كتابة الزهري في هذا الضرب من العلوم الاسلامية.

فقد نسب له حاجي خليفة كتابا في السيرة حيث قال: «كتاب المغازي لمحمد بن مسلم الزهري المتوفى سنة 124 هـ»[123] ورغم ما نعلمه من مدى تثبت حاجي خليفة في هذا المجال، فإننا لانكتفي بهذا النص دليلا على كتابة الزهري في السيرة. إذ سنرجع إلى مصدر أقدم من «كشف الظنون» وهو كتاب «الروض الأنف» للسهيلي الذي اعتمد اعتمادا واضحا فيما يبدو على مرويات

---

(122) انظر الهامش (4) من كتاب ابن عساكر ص : 79.
(123) كشف الظنون ص : 1460.

الزهري في السيرة النبوية، وفي أحد أبواب كتابه جاء ما نصه : «في قصة بحيرى وسفر أبي طالب بالنبي ﷺ وقع في سير الزهري أن بحيرى كان من يهود تيماء»[124].

وإذا قيل ربما يقصد السهيلي سير الزهري التي رويت عنه شفويا، فإن صاحب الكتاب يزيل هذ اللبس بنفسه وبطريقة غير مباشرة في موضع آخر من كتابه حيث قال: «قصة النكاح: وذكر الزهري في سيره، وهي أول سيرة ألفت في الاسلام، كذا روى الداوردي ...»[125] فهنا نلاحظ أن الامام السهيلي جاء بجملة اعتراضية ليوضح أنه اعتمد على نسخة مكتوبة من سير الزهري.

والداوردي المذكور في هذا النص والذي نسب السبق إلى الزهري في تدوين السيرة هو نفسه الذي روى النص الذي أورده الذهبي: «وروى محمد ابن الحسن بن زبالة عن الداوردي قال: أول من دون العلم وكتبه ابن شهاب»[126]. وجاء أيضا عند الاصفهاني وهو يتطرق لبعض أحداث السيرة ما نصه: «وذكر الواقدي ما ذكره عروة والزهري ومحمد بن اسحاق»[127] فهذه العبارة توحي بأن الأصفهاني على اطلاع تام بمؤلف الزهري في السيرة والمغازي، ولولا ذلك لما جاز له أن يدمج اسم الزهري مع أعلام مثل الواقدي وعروة ومحمد ابن اسحاق، المشهورين كلهم بمؤلفاتهم في السيرة النبوية. فهو إذن يقارن هنا بين نصوص مكتوبة.

ولا بأس هنا أن نذكر نصا سبق أن أشرنا إليه في غير هذا الموضع، وهو مأخوذ من كتاب الأغاني حيث جاء فيه :

«أخبرني ابن شهاب قال: قال لي خالد بن عبد الله القسري: اكتب لي النسب فبدأت بنسب مضر، وما أتممته، فقال: اقطعه قطعه الله مع أصولهم، واكتب لي السيرة ..»[128] ومن خلال هذا النص أيضا نستشف أن الزهري كان يكتب في السيرة النبوية.

---

(124) «الروض الأنف» ج 1 ص : 205.
(125) الروض الانف. ج 1 ص: 214.
(126) سير اعلام النبلاء للذهبي ج 5 ص: 334.
(127) «دلائل النبوة» لابي نعيم الاصبهاني ص : 424
(128) «الاغاني» المجلد 7 ج 19 ص : 59.

وانطلاقا من هذه الأقوال مجتمعة يظهر لنا جليا أن الامام ابن شهاب قد كتب كتابا على الأقل في السيرة والمغازي النبوية، وأن كتابه هذا قد ضاع وفقد، إذ لم يثبت لحد الآن ــ حسب اطلاعي ــ أنه تم العثور على كتابه، اللهم بعض الآثار المروية عنه والتي أشار إليها بروكلمان بقوله: «نسب له حاجي خليفة كتاب المغازي، وتوجد الآثار المروية عنه في ليبزج 320/2».

ويبقى الأمل كبيرا في العثور على هذا العمل الذي سيضيف لامحالة الشيء الكثير لمباحث على السيرة النبوية.

المبحث الثالث : ملاحظات حول كتاب «المغازي النبوية» المنسوب للإمام الزهري

لقد سبقت الاشارة في موضع سبق إلى الالتفاتة التي قام بها جماعة من الباحثين بخصوص بعض كتب المتقدمين المفقودة في شتى العلوم الاسلامية. حيث حاولوا جمعها معتمدين في ذلك على كتب المتأخرين الذي اعتمدوها واقتبسوا منها نصوصا هامة قبل أن يصيبها التلف والضياع.

وقاموا بهذا العمل لاستخراج بعض المصادر التفسيرية القديمة والمصادر الحديثية والفقهية.

أما فيما يخص استخراج مصادر السيرة والمغازي النبوية، فإن أول عمل من هذا القبيل قام به الدكتور مصطفى الأعظمي حينما استخرج مغازي عروة بن الزبير، حيث تتبع الأسانيد الموحدة التي تصل إلى عروة برواية أبي الأسود. وبذلك استطاع أن يجمع نصوصا هامة من كتاب عروة بن الزبير الخاص بأحداث السيرة النبوية.

ورغم ما وجه إلى هذا العمل من انتقادات، فإن ذلك لايمنع أي باحث من أن يسجل له المجهود الذي بذله لإخراج كتابه ذلك .. أما الدكتور سهيل زكار فقد قام بنقل الباب المتعلق بالمغازي من كتاب «المصنف» لعبد الرزاق الصنعاني، دون تعديل أو تدخل منه، وكان يعتقد اعتقادا يقينيا، وهو يقوم بذلك أنه عثر على كتاب الزهري في المغازي !!

وقبل تسجيل مجموع الملاحظات حول هذا العمل، أود أن أقول أن هذا الكتاب الذي أخرجه د. سهيل زكار لايمكننا بحال من الأحوال أن نعتبره من الكتب المفقودة المستخرجة وذلك راجع إلى أسباب عدة سنذكرها بعد قليل.

استهل د. سهيل زكار عمله بمقدمة ذكر فيها مجموعة من القضايا المتعلقة بتدوين التاريخ مع ذكر السبل الناجعة ــ حسب رأيه ــ التي يمكن أن يتم بها التدوين، مع التركيز على إعادة كتابة التاريخ المتعلق بأحداث الأمة الاسلامية.

إلا أن ما يدعوا إلى الاستغراب في هذه المقدمة هو استعماله بعض العبارات التي لاتليق بباحث يزعم لنفسه النزاهة العلمية.

ومن بين ذلك مثلا قوله: «هل ستتم هذه الكتابة (التاريخية) من وجهة نظر يسارية تحررية أم يمينية رجعية؟»[129].

فإذا كانت هذه المعادلات المغلوطة: (يمين = رجعي يسار = متحرر) بعيدة عن أساليب البحث العلمي النزيه فإنها عن مجال البحث في العلوم الاسلامية أبعد.

وبعد ذلك وحين ذكره لبعض أحداث السيرة النبوية المميزة يقول: «وكان لحادث زواجه من خديجة كبير الأثر على حياته، فقد وضع هذا الزواج حدا لشقائه وفقره، ورفعه إلى موقع المسؤولية التجارية والادارية»[130].

صحيح أن خديجة أم المؤمنين كانت على درجة مهمة من الغنى، ومن الثابت أيضا أن الرسول ﷺ لم يكن غنيا، لكنه رغم ذلك لم يثبت أنه أصيب في حياته قبل الزواج بالشقاء، وأن غنى خديجة هو الذي أخرجه من الشقاء وأزاحه عن حياته !!

فمنطوق كلام زكار خاطيء لامحالة، اما مفهومه فحمّال كلام لاحاجة لنا إلى تفصيله هنا.

وعمد زكار بعد ذلك في مقدمة كتابه إلى الكلام عن كتابة الزهري في السيرة النبوية والمغازي، مع الاشارة إلى موقعه ومكانته بين كتاب السيرة الأوائل. حيث أكد ما قاله السابقون من أن الزهري ألف في السيرة النبوية كتابا.

(129) المغازي النبوية ص : 8.

(130) المغازي النبوية ص : 13.

إلا أن ما انفرد به د. سهيل زكار ـــ دون الاعتماد على دليل ـــ هو اعتقاده الجازم بأن مؤلف الزهري في السيرة النبوية هو أول ما كتب ودون في مجال السيرة، وهو بالضبط الكتاب المعنون بكتاب المغازي الموجود في مصنف عبد الرزاق في الجزء الخامس حيث يقول بصريح العبارة: «أصح رواية مدونة وأقدم أثر معروف حتى الآن في سيرة النبي ﷺ ومغازيه».[131].

فإذا كان الزهري هو أول من كتب في السيرة، فما موقع شيخه عروة ابن الزبير من ذلك؟، خصوصا ونحن نعلم أن كتاب الفهارس أثبتوا كتاب هذا الأخير في السيرة قبل الزهري!

والاكثر من ذلك أن اعتماد الزهري في رواية أحداث السيرة كان بالدرجة الأولى على عروة. وما الكتاب الذي استخرجه د. مصطفى الأعظمي إلا دليل قاطع على سبق هذا الأخير في هذا المجال.

بعد هذه المقدمة أورد د. سهيل زكار نص المغازي المأخوذة من الجزء الخامس من كتاب «المصنف» لعبد الرزاق الصنعاني دون زيادة أو نقص، معتقدا اعتقادا جازما أن ماورد في كتاب عبد الرزاق هو مؤلف الزهري في المغازي !!

وبعد قراءة هذا الكتاب لايلبث القاريء أن يلاحظ مجموعة من الملاحظات التي تقدح في نسبة بعض تلك المرويات إلى الزهري. ويمكن تفريع هذه الملاحظات إلى قسم متعلق بالأسانيد، وقسم آخر بما ورد في ثنايا متون تلك المرويات.

أ ـــ ملاحظات حول الأسانيد :

من الثابت لدى الباحثين في مجال استخراج الكتب المفقودة من المصادر المتأخرة أن السبيل الوحيد لاستخراج تلك الكتب، هو تتبع سلاسلا الإسناد الموحدة إذ بواسطتها وحدها يمكن أن نتأكد من أن صاحب الكتاب اعتمد على نسخة مكتوبة تحت يده. أما إذا لم تتوحد تلك الأسانيد، فهذا يعني أنه كان يعتمد على روايات شفوية.

إلا أن الدكتور سهيل زكار لم يحترم هذا العرف المتفق عليه بين الباحثين،

(131) ص : 22 المغازي.

ونقل كل ماهو موجود في المصنف على أساس أنه من كتاب الزهري، بل ذهب إلى أبعد من ذلك حيث نقل مجموعة من المرويات ليست من مرويات الزهري أصلا.

ولاستجلاء حقيقة هذا الأمر قمت بإحصاء جميع أسانيد هذا الكتاب حتى تكون هذه الملاحظات مبنية على أسس علمية.

وسأعمد هنا إلى نقل هذه الأسانيد التي وصل بها عبد الرزاق إلى الزهري وإلى غيره وهي كما يلي مرقمة مع ذكر الصفحة التي توجد فيها في كتاب المغازي :

1 ــ عبد الرزاق عن معمر عن الزهري ...ص : 37
2 ــ عبد الرزاق عن معمر عن الزهري .. ص : 43
3 ــ قال معمر وأخبرنا قتادة ... ص : 46
4 ــ قال معمر وأخبرنا عثمان الجزري. ص : 46
5 ــ قال معمر فسألت الزهري .. ص : 46
6 ــ قال معمر قال الزهري ص : 46
7 ــ قال معمر قال الزهري ص : 48
8 ــ قال معمر قال الزهري ص : 49
9 ــ قال معمر قال الزهري ص : 49
10 ــ قال معمر قال الزهري ص : 49
11 ــ عبد الرزاق عن معمر قال أخبرني الزهري ص : 50
12 ــ قال معمر قال الزهري ص : 51
13 ــ قال معمر فأخبرني أيوب ص : 54
14 ــ عبد الزراق عن عكرمة ص : 58
15 ــ عبد الرزاق عن معمر عن الزهري ص : 58
16 ــ عبد الرزاق عن معمر عن الزهري ص : 58
17 ــ عبد الرزاق عن معمر عن الزهري ص : 62
18 ــ عبد الرزاق عن معمر عن الزهري ص : 62
19 ــ عبد الرزاق عن معمر عن أيوب ص : 62
20 ــ عبد الرزاق عن معمر عن أيوب ص : 62

77 ــــ قال معمر قال الزهري ص : 168

78 ــــ قال معمر قال الزهري ص : 169

79 ــــ قال معمر وقال غير الزهري ص : 171

80 ــــ عبد الرزاق عن معمر عن الزهري ص : 172

81 ــــ قال معمر وقال غير الزهيري ص : 172

82 ــــ قال معمر قال الزهري ص : 172

83 ــــ عبد الرزاق عن معمر عن الزهري ص : 174

84 ــــ عبد الرزاق عن معمر عن الزهري ص : 174

85 ــــ قال معمر عن ابن طاووس ص : 175

86 ــــ عبد الرزاق عن معمر عن أيوب ص : 175

87 ــــ عبد الرزاق عن معمر عن أيوب ص : 176

88 ــــ عن يحيى بن العلاء البجلي ص : 178

89 ــــ عبد الرزاق عن وكيع ص : 180

إذن من خلال هذا الجرد التفصيلي لأسانيد هذا الكتاب، لاحظنا أنه يحتوي على (89) مروية بأسانيد مختلفة. ويمكن تقسيم هذه المرويات في بداية الأمر إلى صنفين :

الصنف الأول : وهو الذي يصل فيه عبد الرزاق صاحب الكتاب إلى الزهري بسند موحد، وهو كالتالي : «عبد الرزاق عن معمر عن الزهري».

الصنف الثاني : وهي النصوص أو المرويات التي لم ترو إطلاقا عن الزهري حيث لم يرد فيها اسم الزهري لابسند موحد ولا بغيره.

وإذا شئنا التفصيل فإن الصنف الأول أي مرويات الزهري وصل تعدادها في الكتاب إلى (47) نصا من مجموع (89) أي حوالي نصف مرويات الكتاب (انظر الأسانيد السابقة). أما الصنف الثاني من هذه المروياث والتي لم يرد فيها اسم الزهري فقد بلغ تعدادها (42) مروية من مجموع (89) أي حوال النصف المتبقي من الكتاب، وهي مروية عن عدد من الرواة الذين اشتهروا وباهتمامهم برواية أحداث السيرة النبوية كعثمان الجزري وهشام بن عروة وغيرهم.

فمن خلال ما سبق يمكننا أن نقول بأن نصف الكتاب لايمكن بحال من الأحوال أن ينسب إلى الزهري. هذا مع التجاوز في نسبة النصف الأول إليه باعتباره مقتبسا من كتابه، وذلك لأن هناك مجموعة من الاشارات تمنع من كون تلك المرويات مأخوذة من نسخة كتبها الزهري، وسنعرض لأهمها بعد قليل.

فكيف تصح إذن نسبة الكتاب إلى الزهري ونصف مرويات هذا الكتاب لغير الزهري ولسنا هنا في حاجة إلى البحث عن أوصاف لكي نصف بها صاحب هذا العمل، ولكن أقل ما يمكن أن يوصف به صاحب هذا العمل هو خيانة الأمانة العلمية.

وكيف لا وهو يكتب على واجهة الكتاب: «المغازي النبوية» تصنيف الإمام محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهري، وكيف لا وهو يؤكد أكثر من مرة في ثنايا المقدمة أن الكتاب للزهري دون نقاش، ففي إحدى صفحاته. يقول: «وفي وقفة منفردة مع الكتاب الذي نقدم له نتسائل كيف صنف الزهري هذا الكتاب والاسم الذي أطلقه عليه»[132].

الملاحظة الثانية التي يمكن أن تستنتج من خلال هذه الأسانيد السابقة، هي تخلل اسم راوية السيرة وتلميذ الزهري معمر بن راشد هذه السلاسل بشكل مكثف.

فإذا كانت مرويات هذا الكتاب (89) مروية، فمعمر روى (85) منها والأربعة الباقية بغير روايته. فإذا كان ولابد من نسبة هذا الكتاب إلى مؤلف ما، فنسبته إلى معمر بن راشد أقرب إلى الصواب من نسبته إلى الأمام الزهري. خصوصا ونحن نعلم أن معمرًا ألف كتابا في المغازي، وقد أكد ذلك ابن النديم إذ جاء في كتابه: «معمر بن راشد من أهل الكوفة يروي عنه عبد الرزاق من أصحاب السير والأحداث. وله من الكتب، كتاب المغازي»[134] فيكف إذن استطاع د. سهيل زكار أن يتأكد من أن الكتاب للزهري وليس لمعمر، بل الغريب أنه لم يشر في المقدمة إلى هذه المسألة إطلاقا.

(132) ص : 31.
(133) ص : 32.
(134) الفهرست لابن النديم ص : 106.

ب ــ ملاحظات حول متون مرويات كتاب «المغازي»

إن القاريء المتأني لنصوص هذا الكتاب ستصادفه حتما بعض الاشارات التي تقدح في نسبة الكتاب كاملا إلى الزهري، وسأذكر هنا أهم هذه الاشارات

1. ورود بعض العبارات الصريحة في الكتاب التي يفهم منها أن الزهري لم يؤلف ذلك الكتاب، وسنقتصر هنا على بعضها :

جاء في احدى صفحات الكتاب ما يلي: «عبد الرزاق قال أخبرنا معمر قال سألت عنه الزهري، فضحك»(135)

فيكف إذن يكون الزهري هو الذي ألف هذا الكتاب ونحن نرى هنا أن معمرا يسأله، وأن الزهري يضحك ؟.

وجاء أيضا في الكتاب ما نصه: «قال معمر: قلت لأبي عمرو بن العلاء ما العثمان ؟»(136) وجاء أيضا: «قال معمر : وحدثني الزهري ببعضه»(137) فهنا أيضا نرى أن معمر بن راشد هو المتكلم، وهو الذي يسأل، فيكف اذن يكون الكتاب للزهري ؟

2. تصرف عبد الرزاق الصنعاني في نصوص الكتاب، وتدخله في تفاصيل أحداث السيرة دليل آخر على أن الكتاب بالصورة التي أخرج بها ليس للزهري.

وتصرف عبد الرزاق في هذه النصوص كثرت مواضعه، وسنذكر هنا نماذج من هذا التصرف الواضح.

تحت عنوان «غزوة الحديبية» بدأ عبد الرزاق الحديث بقوله: «عن معمر قال أخبرني الزهري قال أخبرني عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة، ومروان بن الحكم صدق كل واحد منهما صاحبه قالا: خرج رسول الله ﷺ زمن الحديبية ..»

---

(135) ص : 58.

(136) ص : 103.

(137) ص : 69.

وبعد أن يخلل الصنعاني ذلك ببعض المعلومات التفصيلية يرجع في الصفحة الموالية ويقول :

«قال الزهري في حديث مسور بن مخرمة ومروان : فراحوا حتى إذا كانوا ببعض الطريق ..»[138].

وتحت عنوان «وقعة الأحزاب» بدأ عبد الرزاق بقوله: «ثم كانت وقعة الأحزاب بعد أحد بسنتين ..»[139] هكذا بدأ عبد الرزاق بالكلام دون ذكر سند مما يدل أن هذا التفصيل من عنده، واستغرق ذلك صفحة كاملة، إلى أن ذكّر بسند سابق حيث قال: «قال الزهري في حديثه عن ابن المسيب، فبيناهم كذلك إذ جاءهم ..»[140]

فهذه الاشارات كثيرة، وموزعة عبر جميع فصول الكتاب[141] فمن خلال هذه الملاحظات السابقة لايمكننا إلا أن نستنتج النتائج التالية :

1. إن الكتاب الذي نسبه د. سهيل زكار إلى الزهري ليس من تدوين هذا الأخير، وذلك للأسباب التي ذكرناها قبل قليل.

وصاحب هذا العمل قد ارتكب خطأ كبيرا في نسبة هذه المرويات إلى الزهري على أساس أنها شكلت كتابه في السيرة والمغازي النبوية. والأكثر من ذلك أنه ــ وهو يقوم بذلك ــ لم يبد أي تحفظ حول مصداقية نسبة الكتاب إلى الزهري.

2. فإذا لم يكن الكتاب بالطريقة التي أخرج بها كتابا للزهري ــ كما قال زكار ــ فكتاب من يكون إذن ؟

الثابت هنا أن هذه المرويات نتيجة لكل ما سبق لايمكننا اعتبارها كتابا للزهري، وذلك طبعا للاعتبارات السابقة وأهمها أن الزهري لم يرو نصف تلك المرويات تقريبا.

---

(138) ص : 50-51.

(139) ص : 79.

(140) ص : 88.

(141) ص : 50-51-54-62-71-76-79.

والثابت أيضا أن عبد الرزاق صاحب المصنف وراوي هذه النصوص كان يتدخل كثيرا في تفاصيل أحداث هذه النصوص.

فعلى هذا سيكون عبد الرزاق قد جمع ماصح عنده في باب المغازي اعتمادا على مجموعة من النصوص الشفوية والمكتوبة إلا أن معوله الأساسي في هذه النصوص كان معمر بن راشد، لأنه روى عنه (85) نصا من بين (89).

وقد لانكون مبالغين إذا قلنا — في خاتمة هذا المبحث — أن الدكتور سهيل زكار قد أخطأ كل الخطأ في نسبة هذه النصوص المقتبسة من المصنف للزهري على أساس أنها تشكل كتابه في المغازي النبوية، ولا أظن أن هناك عذرا يمكن أن يلتمس له في ذلك.

قائمة المصادر والمراجع

ـ الأعلام / خير الدين الزركلي ـ دار العلم للملايين بيروت ط 6 1984 م.

ـ الأغاني / الأصبهاني ـ مؤسسة عز الدين

ـ بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب / د. عبد العزيز الدوري ـ المطبعة الكاتوليكية بيروت 1960.

ـ تاريخ التراث / د. فؤاد سزكين ـ ترجمة د. فهمي أبو الفضل مصر ط 4 الهيئة المصرية للتأليف والنشر 1970 م.

ـ تاريخ الطبري / منشورات الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت

ـ تاريخ اليعقوبي / طبع دار صادر بيروت ـ 1960 م

ـ تقييد العلم / الخطيب البغدادي ـ تحقيق يوصف العش دمشق

ـ الجرح والتعديل / الرازي مطبعة عباس دائرة المعارف العثمانية الهند ط 1

ـ حلية الأولياء / أبو نعيم الأصبهاني ـ دار الكتاب العربي بيروت ط 2-1967 م

ـ دلائل النبوة / البيهقي ـ تحقيق السيد أحمد الصقر. مصر 1970 م

ـ رواية الشاميين للمغازي والسير / د. حسين عطوان / دار الجبل ط 1 1986 م.

ـ الروض الأنف / السهيلي ـ دار المعرفة ـ بيروت 1978 م

ـ الزهري / ابن عساكر ـ مستلة من كتابه تاريخ دمشق ـ تحقيق قوجاني مؤسسة الرسالة ط 1 1982م.

ـ السنة ومكانتها في التشريع / د. مصطفى السباعي ـ المكتب الاسلامي ط 3 1982

ـ طبقات ابن سعد / دار صادر 1957م.

ـ الفهرست لابن النديم ـ تحقيق رضا تجدد بدون تاريخ.

ـ كشف الظنون / حاجي خليفة ـ منشورات مكتبة المثنى ـ بيروت.

ـــ المصنف / الصنعاني ـــ تحقيق الأعظمي ط 1 1972 المجلس العلمي.
ـــ المعرفة والتاريخ / الفسوي ـــ تحقيق د. العمري مؤسسة الرسالة ط 2 - 1981 م
ـــ المغازي الأولى ومؤلفوها / يوسف هورفتس ترجمة حسين نصار ـــ الحلبي 1949 م.
ـــ المغازي النبوية / الزهري ـــ جمع د. زكار دار الفكر دمشق 1980 ط 1.
ـــ المغازي / الواقدي ـــ تحقيق د. مارسدن جونس مؤسسة الأعلمي بيروت 1966 م.